١٤٠٠ عام من غير ميكروفون

خرجت عند ظهر يوم الاربعاء الماضي من مبنى سوق الاوراق المالية متجها الى البنك الوطني القريب منه، وتصادف مروري وقت رفع الاذان من مجموعة المساجد التي تقع في تلك المنطقة، وكانت الاصوات العالية جدا والصادرة من عشرات «مكبرات الصوت» تصم الاذان بالفعل، فعرفت اننا بخير، وان ما قرأته صباح ذلك اليوم من تصريح للنائب علي الخلف عن قيام الحكومة بإغلاق الميكروفونات عند الاذان والصلاة لم يكن صحيحا.

بعد فترة الغداء جلست «افلل» الصحف كالعادة واعيد قراءة ما كتب عن موضوع رفع الاذان، فتبين ان النائب وليد الطبطبائي قد صرح في الجلسة نفسها، وتعقيبا على كلام زميله علي الخلف، بجواز فتح مكبرات الصوت في صلاتي المغرب والعشاء، وقال انه لا يمانع في «عدم» استعمال الميكروفونات في صلاة الفجر «حيث ان هناك اطفالا نائمين»!! ولم يتطرق النائب وليد لصلاتي الظهر والعصر، ولم يبين «فتواه» بهذا الخصوص!!! بعد مزيد من البحث والتمحيص بين سطور ما يسمى «وقائع جلسة مجلس الامة» قرأت ردا من النائب الخلف يقول فيه ما معناه بأنه يريد ان يعرف الوجهة الشرعية عن هذا الموضوع، او شيئا من هذا القبيل.

لا ادري متى سنخرج مما نحن فيه من تخبط، واية وجهة شرعية مطلوب معرفة رأيها في موضوع جواز استعمال اختراع لم يكن معروفا قبل مائة عام. ان موضوع رفع الاذان والصلاة باستعمال ميكروفونات ومكبرات الصوت مسالة تحتاج الى دراسة ونظرة عصرية. فغالبية المصلين، ان لم يكن كلهم، يملكون ساعات يد، ولديهم عشرات غيرها معلقة على حوائط المكاتب والمنازل، ولا يمكن بالتالي ان يدعي شخص ما يعيش او يتواجد في مدينة عصرية كالكويت وضواحيها بانه نسي اقامة الصلاة بحجة انه لم يسمع الاذان، ولا اعتقد ان احدا مستقاع عن الناحية الدينية الصرفة، الى ان يستمع للصلاة تذاع بالكامل من خلال مكبرات الصوت، فهذه مسالة لا تزيد من قوة الدين وانه لا يعتبر انتقاصا منه، والدليل ما نراه من حولنا من مئات ملايين المسلمين لم يدع احد بانه اسلم او اصبح اكثر ايمانا لانه سمع الصلاة من خلال مكبرات الصوت.

اعود الى منطقة الاسواق واقول إنه عندما امر من بين مجموعة المساجد في تلك المنطقة وقت رفع الاذان اصاب باستغراب على اصرارنا على رفع الاذان من اكثر من عشرة مساجد لا يبتعد بعضها عن البعض الاخر باكثر من امتار معدودة وكلها ترفع الاذان في وقت واحد وبتفاوت يبلغ جزءا من الدقيقة بين بعضها البعض بحيث تصبح مسألة تحديد متى بدأ الاذان واين وصل وكيف انتهى مسالة غير قابلة للفهم على المستمع الجديد. اما على من تعود على سماعه وعرفه فيكفيه سماعه بصوت معتدل واضح صادر من حنجرة قوية دون مكبر «اصطناعي للصوت». والغريب ان ملايين المؤذنين في الاسلام بدءا ببلال (رضي الله عنه) ومرورا بغيره من المؤذنين في عهود الخلفاء الاربعة وعصور الاسلام الذهبية الاخرى لم يشعروا يوما ما بان هناك تقصيرا في توصيل الاذان او الصلاة للمسلمين بغير الصوت العادي، والان وبعد اكثر من ١٤٠٠ عام على ظهور الدعوة وبعد ان اصبح عدد المساجد بالنسبة لعدد السكان يفوق اضعاف ما كان عليه الحال في اكثر عصور الاسلام تقدما، بعد كل هذا تصبح عند البعض مسالة اذاعة الاذان والصلاة من خلال مكبرات الصوت مسالة وقضية مصيرية غير مسموح التهاون بها او حتى مجرد مناقشتها وهذا هو منتهى التناقض في حياتنا.

احمد الصراف